نحو معجم تاريخي
اسم المكان مثالاً

د. شوقي المعري

مقدمة:

لقد فوجئت كثيراً بأنّ اسم المكان يغيب عن معظم مصادر الأقدمين وليس له نصيب من الكلام وفوجئت بأنّ هناك ألفاظاً قليلة قيل إنّها من الشّاذ، وأنّ ثمّة كلمات لا قرار نهائيّاً يحكم عليها... وغير ذلك من أشياء دفعتني للخوض في هذا الجانب من جوانب اللغة المعجميّة.

ومن يشأ أن يدرس التّطور اللغوي عليه أن يسير بخطوات صحيحة حاولت أنْ أتبعها، فاقتضت طبيعة البحث أنْ ترصد الألفاظ عند القدماء ثمّ المعاصرين من حيث القاعدة التي تنتظم أسماء المكان ومن حيث رصد الأسماء، أمّا القاعدة ففيها ما يقال وقد علّقت عليها عند الحاجة، وأمّا الرّصد فإنّ المعجم ليس ملزَماً وكذا أي مصدر، أنْ يرصد أو يحصي كل أسماء المكان، وهذا ما حاولته: أنْ أثبت ما ورد عند القدماء ثمّ ما ورد عند المعاصرين في كتبهم ومعاجمهم، ثمّ استدركت ما صنعته اعتماداً على ما تقدم، ووزعت المادة في عناوين رئيسية رأيتها مناسبة لما أقدّمه، وأرجو أن تكون هذه الخطوة ثابتة أو صحيحة تتبعها خطوات في ألفاظ أخرى تكون جهوداً مخلصة في المعجم التّاريخي الذي نخشى الخوض في صناعته.

أوّلاً: اسم المكان عند القدماء

1. اسم المكان القياسي

لم يكن علم الصّرف منفصلاً عن علم النّحو، بل كانا معاً لأنّ ثمّة اتصالاً وثيقاً بينهما،

يكمل الواحد الآخر في كثير من الأبحاث، وهذا ما يلحظه القارئ في مصادر القدماء ولاسيّما كتاب سيبويه والمقتضب للمبرّد وغيرهما، ثمّ بدأ العلماء فصل هذا العلم ــ الصرف ــ عن النّحو فألفوا بعض الكتب وكانت خاصة بما يتّصل بعلم الصّرف الذي تنتظم فيه بحوث كثيرة من بينها بل أهمّها المشتقات بعد الميزان الصّرفي؛ فالميزان الصّرفي هو الأساس في أي بحث صرفي.

ولمّا صار للصّرف كتب مستقلّة غابت أبحاثه عن كتب الأقدمين حتى المصادر الرّئيسية إذ لا تعثر على أبحاثه في كتب ابن عقيل ومَن شرح ألفيته، وقد تجد بعض الجمل المتناثرة التي لها صلة بكلمة ما، وهذا ما يلحظه من يطّلع على تلك الكتب، حتى إنّه ليُفاجأ عندما لا يقرأ أهم عناوين الصّرف، وهذا ما لاحظته وأنا أبحث عن اسم المكان، إذ لم أجده كما لم أجد إخوته المشتقات.

على كل حال هذا وإنْ كان يتّصل ببحثنا إلاّ أنّه بحاجة إلى وقفة متأنية ليس هنا محلّها، ولكن أشرت إلى هذا كيلا يفاجأ من يقرأ في حواشي البحث فلا يجد أمهات كتب اللغة والنّحو، أي إنّنا سنعتمد على ما وجدناه في تلك الكتب التي ذكرت اسم المكان، والطّبيعي لكلّ من يريد أنْ ينشئ بحثاً أن يبتدئ بكتاب سيبويه لأنّه الأساس الذي اعتمد عليه كل من جاء بعده، وأقول بداية: إنّك لن تجد كثيراً جديداً في اسم المكان غير الذي ورد عند سيبويه... وهذا سينسحب على المراجع الحديثة التي خصّصت اسم المكان كغيره من المشتقات بكلام لأنّ التّأليف في الصّرف استوى، لذلك لن نذكر كل تلك الكتب، بل سنعتمد عدداً منها نماذج لما نقول.

قال سيبويه: "أمّا ما كان من فَعَل يفعِل فإنّ موضع الفعل مفعِل وذلك قولك هذا محبِسنا، ومضرِبنا، ومجلِسنا..."[1] أي إنّ ما كانت عينه مكسورة في المضارع كسرت في اسم المكان على وزن (مفعِل)، ولاحظ أنّ سيبويه قال (موضع) يقصد المكان، من هنا لم نميّز كثيراً بينهما وسيكون لنا كلام مطوّل ويفيد في الكلام عليهما في فقرات قادمة.

[1] كتاب سيبويه 4 / 87 ــ 88

ويضيف فيقول: "وكذلك أيضاً يدخلون الهاء في المواضع قالوا: المَزِلّة أي مكان زلل"[1] وهنا يريد أن يقول إنّ التّاء المربوطة (الهاء) تدل على مكان أيضاً، وهذا ما سنلحظه في كثير من أسماء الأماكن المعاصرة.

أمّا ما كان على يفعَل مفتوح العين فاسم المكان منه بالفتح أيضاً كما الفعل، مثل شرب يشرَب مشرَب، ولبس يلبَس ملبَس، وأمّا ما كان مضموماً فهو بمنزلة ما كان مفتوحاً...[2] وقد كسروا العين في اسم المكان فقالوا: المَنْبِت والمَطْلِع وقالوا البصرة مَسْقِط رأسي.[3]

وثمّة ملاحظة جديرة بالوقوف يقول سيبويه: "وأن المسجد فإنه اسم للبيت ولست تريد به موضع السجود وموضع جبهتك لو أردت ذلك لقلت مَسْجَد"[4].

وسيبويه بهذا يميّز تمييزاً دقيقاً بين اسم المكان واسم الشيء أي البناء، ولكنّ السّؤال أليس هذا من تسمية الكل باسم الجزء، أليس اسمه مسجداً لأنّه مكان السجود؟ ثم هل نقول مصرف لمكان الصرف ومصرِف للبناء الخاص بهذا العمل؟!

وسيمر كلام آخر في فقرة تالية توضح هذا، ونصل إلى استنتاج ما بعد رصد تلك الألفاظ التي جاءت بالفتح والكسر.

وأشار سيبويه في مكان آخر[5] إلى بعض أسماء الأمكنة التي استعملها القدماء، ويجيز لنا عند المعاصرين القياس عليها، وهي استعمال اسم المكان للموضع الذي يكثر الشيء فيه كأن نقول: مَسْبَعة ومأسدة ومَذْأَبَة للمكان الذي كثرت فيه السباع أو الأسود أو الذئاب وستجد أنّ هناك كلمات كثيرة يمكن القياس على ما ورد في هذا الوزن، فهو قياسي أضيفت إليه الهاء،

---

[1] كتاب سيبويه 4 / 89

[2] كتاب سيبويه 4 / 90

[3] كتاب سيبويه 4 / 90

[4] كتاب سيبويه 4 / 90

[5] كتاب سيبويه 4 / 94

فكأنّ سيبويه جمع بين القاعدتين الأوليين اللتين ذكرناهما، أي القياس على مفعل لأنه مأخوذ أو مشتق من الثلاثي، ويقول إنّ العرب لم يجيئوا بنظير هذا فيما جاوز ثلاثة أحرف من نحو الضفدع والثعلب كراهية أن يثقل عليهم، ولأنّهم قد يستغنون بأن يقولوا كثيرة الثعالب ونحو ذلك. لكنّه يستطرد ليقول إذا أردت أن تشتق من بنات الأربعة لقلت على وزن اسم المفعول لأنّ ما جاوز الثلاثة يكون نظير المُفْعَل منه بمنزلة المفعول[1] "ويستشهد على هذا بكلمة" مُثَعْلبة "علماً بأنّه ورد في المعجم مَثْعلة ومُثْعَلبة".[2]

هذا كل ما ورد في كتاب سيبويه، وسيكون المعتمد لمن جاء بعده ولن يخرجوا عليه.

أمّا المبرّد صاحب المقتضب فلم يذكر اسم المكان إلا بأسطر قليلة جداً هي "وكذلك إنْ بنيت من الفعل اسماً لمكان أو زمان كان كل واحد منهما على مثال المفعول لأنّ الزمان والمكان مفعول فيهما"، وذلك قولك أدخلته مُدخلاً كما قال عز وجل: "أنزلني منزلاً مباركاً"[3] "وباسم الله مجراها ومرساها".[4،5]

فهذا كل ما ورد في كتاب يعتمد بعد كتاب سيبويه من حيث الأهمية، إنّه أشار إلى أنّ اسم المكان والزمان من الفعل فوق الثلاثي هو على وزن اسم المفعول ممّا فوق الثلاثي.

وأمّا ابن يعيش فقد ربط كغيره بين اسم المكان والمصدر، فتحدث عن الأوزان القياسية[6] ثم عن الكلمة التي يدخل عليها تاء التأنيث واستشهد بما استشهد به سيبويه المَزلّة، لكنّه أضاف عدداً من الألفاظ: المظنّة والمقبرة والمشرفة وموقعة الطائر[7] وكذلك أضاف على ما أورده

---

[1] كتاب سيبويه 4 / 94

[2] انظر لسان العرب وتاج العروس (ثعلب).

[3] المؤمنون 29

[4] هود 41

[5] المقتضب 2 /120

[6] شرح المفصل 6 /107 ــ 108

[7] شرح المفصل 6 /109

سيبويه في الكلام على المكان الذي كثر فيه الشيء، فذكر: أيضاً مسبعة ومأسدة ومذأبة ومحيأة (الحية) ومفعاة (الأفعى) ومَقثأة ومبطخة[1] ثمّ توقف عند غير الثلاثي في هذا الباب.

ولو أردنا السير مع كتب النحو العامة فإنّنا لن نجد أكثر ممّا ورد سابقاً وسيكون كلامنا تكراراً، بل إنّك تفاجأ عندما لا تقرأ في كتاب خزانة الأدب للبغدادي هذه الموسوعة الكبرى إلا سطرين نقلاً عن صاحب المفصل للزمخشري[2] بعد سطر من الشعر فقال: "وهذا المصراع أورده الزمخشري في المفصل قال أسماء المكان والزمان ما بني من الثلاثي المزيد فيه والرباعي فعلى لفظ اسم المفعول".[3]

اسم المكان في كتاب شرح الشافية لابن الحاجب للرضي الأستراباذي:

إذا كانت المادة المتصلة باسم المكان في كتب النحو العامة موجزة، ومكرّرة وإذا كانت هذه المادة في كتب لم يُفصل فيها الصرف عن النحو، فإنّ المنطق العلمي يتطلب أو يفترض أنْ يقرأ اسم المكان من كتاب اختص بالصرف وقد يكون كتاب شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي هو الأوّل بأنْ نقف عليه لقراءة ما ورد فيه، ثمّ دراسته ومقارنته بما مرّ لنصل من بعد إلى الحكم الذي يمكن الاطمئنان إليه.

قال: "اعلم أنّهم بنوا الزّمان والمكان على المضارع فكسروا العين فيما مضارعه مكسور وفتحوها فيما مضارعه مفتوحها..."[4] فهذا لم يكن جديداً بل ذكره سيبويه ونقله من جاء بعده، لكنّه أضاف للدّقة فقال: "وإنّما لم يضموها فيما مضارعه مضمومها نحو يقتُل وينصُر لأنه لم يأت في الكلام في غير هذا الباب "مفعُل" إلا نادراً كمكرم... وعُدل إلى أحد اللفظين مفعَل

---

[1] شرح المفصل 6 / 10

[2] المفصل للزمخشري وشرحه 6 / 110

[3] خزانة الأدب للبغدادي 11 / 27

[4] شرح الشافية 1 / 181

ومفعِل وكان الفتح أخفّ فحمل عليه"[1].

وقد يلخص الرأي السابق كل ما يتصل باسم المكان من الثلاثي لو أردنا، إذ إنّنا نستطيع صياغة القاعدة في ضوء ما تقدم ونحن مطمئنون إلى ما وصلنا إليه.

آ. فاسم المكان مفتوح العين إذا كان مضارعه مفتوحاً.

ب. واسم المكان مكسور العين إذا كان مضارعه مكسوراً.

ج. واسم المكان مفتوح العين أو مكسورها إذا كان مضارعه مضموماً.

والسّؤال ذو شقين: لماذا لا يكون عندنا اسم مكان مضموم العين؟ علماً بأنّ الرضيّ قال هو نادر، ونحن لم نلغِ قاعدة للندرة، إذ إنّ ثمّة قواعد كثيرة كانت شواهدها نادرة، وهذا الوزن يجعل نظم بعض الأسماء فيه صحيحاً، فنخفف من الشاذ أو الذي لا يقاس عليه، ويصبح الاحتمال مفتوحاً للتّأويل والشاذ والنادر.

والأمر الثاني الذي ورد في كلامه ويلفت النّظر هو قوله: "وعدل إلى أحد اللفظين مفعَل ومفعِل وكان الفتح أخفّ فحمل عليه" إنّ الرّضيَّ يعطيك ثلاثة أوزان جائزة في اسم المكان من الثلاثي مرتبة بحسب الاستعمال والحمل، الفتح هو الأعلى، وجاز الكسر، وندر الضمّ.

فكأنّ ما ورد في اسم المكان مكسور العين كان من استساغة اللفظ لا ضمن قاعدة تنتظمه، وهذا ما يفهم من الكلام بل إن الرضيّ نفسه يعترف بهذا فيقول " وقد جاء من يفعل المضموم العين كلمات على مفعِل (بالكسر) لا غير وهي المشرِق والمغرِب والمرفِق ومنها المَنْبِت والمَنْخِر والمَجْزِر والمَسقِط والمَظِنّة..."[2] فإذا كان ما أورده من ألفاظ ليس لفظاً واحداً، وليس نادراً فإنّ هذا يجعلنا نؤيّد ما افترضناه من رصد كل هذه الألفاظ فقد يخرج معنا عددٌ آخر منها ونحن إذا ما أردنا أن نصل إلى التمييز والتفريق بين الوزنين فإنّنا قادرون، لأنّ رصد أسماء المكان ليس بالأمر الصعب، وكذا رصد الأفعال، وعندئذ نكون قد وصلنا باطمئنان إلى قاعدة

[1] شرح الشافية 1 / 181

[2] شرح الشافية 1/ 181

الثلاثي، وهذا ما سنلحظه في بعض الأمثلة التي رُصِدت في المعجم.

وإذا ما وصلنا إلى هذا نكون قد خففنا من بعض القواعد ولاسيما التي جاز فيها الوجهان وإلاّ سنبقي على الوجهين الجائزين، وهذا ما أشار إليه الرضي عندما قال: "وقد جاء من يفعل المضموم العين أيضاً كلمات سمع في عينها الفتح والكسر وهي المفرق والمحشر والمسجد والمنسك والمحل".[1] وهنا ملاحظتان مهمتان، الأولى أنّه سمع والسماع يجيز لنا الوجهين، فهو من المستساغ، والملاحظة الثانية كلمة المسجد التي ذكرها سيبويه وعلقنا عليها في مكانها بل إنّه علّق هو نفسه على هذه الكلمة تحديداً وكذا اللفظان المطبخ والمربد[2] ويتصل بهذه القاعدة ما أراده من لغات بالفتح والكسر في كلمات حقها الكسر لأنّ مضارعها يفعل (بالكسر) مثل المَدبّ والمأوى والمزلة ومضربة السيف.. ويضيف وجاء مقبُرة ومشرُفة (بالضم).[3]

إنّ كل ما تقدم يجعلنا نعيد النظر في كل ما ورد ونعيد ترتيبه في أوزان وهذا يعتمد طريقة واحدة يمكن أن تكون مثلاً على النحو التالي:

– ما جاء على مَفْعَل (يفتح العين)
– ما جاء على مفعِل (بكسر العين)
– ما جاء على الوجهين السابقين
– ما جاء على مفعُل (بضم العين)

وهذا سهل ولاسيما إذا ما علمت أنّ ما أوردته المعاجم ليس بالعدد الكبير من أسماء المكان، وقد يقول قائل وما العمل الصحيح إذا أردنا أن نصوغ أسماء المكان من بقية الأفعال؟ والجواب تَقَدَّم قبل قليل، يمكن رصد الأفعال والقياس على ما ورد عند القدماء، فيكون عندي قاعدة واحدة وسنلحظ هذا بعد قليل عند الاستشهاد بما ورد في معاجم الأقدمين.

---

[1] شرح الشافية 1 / 181 / 182
[2] شرح الشافية 1 /182
[3] شرح الشافية 1 / 185

ثمّ خصَّص بعض الكلام للمعتل، نسمّي المعتل منقوصاً، واستشهد بـــ "المثوى" وقال: "وذلك لتخفيف الكلمة بقلب اللام ألفاً" أمّا المثال اليائي فيعامل معاملة الاسم الصحيح لخفته تقول في ييقظ ميقظ[1] واستشهد بقوله تعالى: "فنظرة إلى ميسرة".[2]

ثمّ وقف عند اسم المكان ممّا فوق الثلاثي، وأشار إلى أنّه كاسم المفعول واستشهد بعدد من الكلمات مثل المُخْرَج والمُستخرج والمُقاتَل...[3]

إنَّ ما أورده صاحب الشافية وشارحها لم يكن فيه من جديد اللهم إلا بعض الألفاظ شواهد على ما يتحدث فيه، وبعض الأمثلة من القرآن الكريم.

نماذج من اسم المكان عند القدماء:

قلت ليس بالضرورة أن يذكر المعجم كل اسم مكان من كل فعل، ولكنّ ما يلاحظ أنّ بعض الأسماء قد تكون ذكرت لضرورة، أو لتعليق، أو مرّت في خلال آية أو بيت من الشعر، أو غير ذلك، وإلاّ كان الواجب أن يذكر كل اسم مكان إذا كان منهج المؤلف هذا، وهذا لم يكن في أي نوع آخر من المشتقات، وإذ لم يذكر كل اسم فاعل أو مفعول.. والدراسة ستكون منصبّة على ما ورد في المعجم والتعليق عليها، ومن ثم الحكم الدقيق وما أحصيته لم يصل إلى (150) اسماً سيكون الحكم عليها.

أمّا ما يكون معاصراً أو جديداً فيحكم عليه في مكانه. ويقتضي المنطق أن نسير على العناوين التي وردت عند سيبويه وشرح الشافية لتوضيح القاعدة أو تثبيتها ليكون كلامنا دقيقاً، مع ملاحظة:

1. ممّا ورد من الثلاثي **على وزن مَفعَل:** المثاب، المجال، المجمر، المَحلّ، المَدبّ، المدفن،

---

[1] شرح الشافية 1 / 186

[2] البقرة 2 /280

[3] شرح الشافية 11/ 186

المذبح، المربأ، المرتع، المرصَد، المرقد، المرفأ، المرمى، المزار، المسرح، المشعب، المطاف، المعبد، المعبر، المغطس، المغنى، المقطع، المكان، المكرّ، الملعب، الممرق، الممشى، المَنْبَت، المَنْهَل... وقد ذكرت أسماء الأمكنة التي ليست بحاجة إلى شرح لكنّ هذا لا يعني أنّ هناك ألفاظاً على هذا الوزن ليست صعبة بحاجة إلى شرح، ومنها:

– المَتْعَب: مسايل الوادي
– المَرَبّ: الأرض الكثيرة الربّة
– المَرْزَح: ما اطمأن من الأرض
– المَزْكَأ: الملجأ
– المسبأ: الطريق في الجبل
– المَسْهج: ممرّ الريح
– المَشْقر: منبت العرفج (نبت)
– المَغْرث: الموضع الذي يغرث فيه الغنم وغيرها
– الملطث: الموضع الذي تلطَّث بالحِمل والضرب
– المَفْزع: الملجأ
– المَضْبأ: المكان الذي يختبئ فيه الرجل ليصيد.

2. ومما ورد **على وزن مَفعِل:** المَزِلة، مسقِط، المصير، المغرِس، المكسِر، المنزِل، المنسِم (البيت)، الموقِف، الموقِد.
3. وممّا ورد و**آخره تاء مربوطة:** المتبنة، المتفحة، مجازة النهر، المجمعة، المَحْصَبَة، المحلّة، المخرؤة، المخصبة، المدبغة، المدلجة، المرتبة، المرقبة، المزبلة، المسطبة، المصطبة، المقامة، المغارة، وإذا كانت هذه الألفاظ معروفة المعنى والمشتق، فإنّ ثمّة أماكن على هذا الوزن تحتاج إلى شرح منها:
   – المَدْرجة: ممرّ الأشياء على الطريق وغيره
   – المروحة: ممر الرياح
   – المزلفة: كل قرية تكون بين البر والريف
   – المفغرة: الأرض الواسعة أو الفجوة في الجبل
   – المنقبة: طريق ضيق بين دارين
4. أمّا ما عبّر به عن الكثرة والتبس أحياناً بما فوق الثلاثي فقد أشار إليه القدماء، وقالوا إنهم عبروا بكلمة أخرى مساعدة لكن هذا غير دقيق إذ ورد في المعجم ما يناقض هذا، وأشهر

ما ورد يدل على الكثرة: المأسدة، المذأبة، المكلبة.

ولكن أورد مَثْعلة ومُثعلبة للأرض كثيرة الثعالب، المرئبة والممر لكثيرة الحرباء والمرنبة والمؤرنبة لكثيرة الأرانب والمَعْقرة والمُعقربة لكثيرة العقارب، والمقثأة لكثيرة القثاء، وفي هذا ما يناقض ما ورد عند العلماء.

وممّا ورد وليس معروفاً إلا بالشرح: المُرْطبة للأرض الكثيرة الكلأ، بل ورد بعض الأماكن ليس من الجذر بشيء مثل المضغبة للأرض كثيرة القثاء.

5. أمّا ما ورد ممّا فوق الثلاثي فهذا أشهره: المُسْحَنفر للطريق المستقيم، والمُشرّق للمصلّى، والمصلهب للبيت الكبير، والمُعوّد لمرعى الإبل حول البيت، والمناخ لمبرك الإبل، والمنتأى للموضع البعيد والمنعرج، والمودّأة المهلكة.

اسم المكان غير القياسي:

ثمّة أبحاث كان فيها السماعي والقياسي، أما السماعي فهو ممّا سمع ولم يُقس أو لم يجر على وزن واحد، وأمّا القياسي فهو ما يقاس فيه على وزن معين عددٌ من الألفاظ، وقد يكون أقرب الأمثلة إلى هذا هو المصدر الثلاثي السماعي، والمصدر القياسي الذي من فوق الثلاثي، وإنْ جاز وجهان في عدد من المصادر.

وليس بعيداً عن هذا ما يمكن تصنيفه سماعياً في اسم المكان مادام لم يجر على القياس الذي تقدّم في العنوان السابق سواءٌ كان عند القدماء أم المعاصرين المحدثين، لأنّ ثمّة ألفاظاً كثيرة تدل على اسم المكان لكنها ليست على القياس السابق، وقد وجدت أنّ أوزّعها في ثلاثة عناوين:

1. ما ورد ومعناه على وزن قياسي: وممّا ورد ولا يزال مستعملاً:

- الأتون: الموقد
- الجبانة: المقبرة
- القبر: المدفن
- الإصطبل: موقف الدابة
- العرين: مأوى الأسد
- القفص: محبس الطائر

– البندر: المرسى والمُكلأ – الفرن: المخبز
– الوطن: منزل الإقامة

ولكنّ ثمّة ألفاظاً كثيرة لم تعد مستعملة علماً بأنّ معناها معروف ومنها:

– الإدرون: المعلف – السِّيب: مجرى الماء
– الفقع: محبس الماء – الأُكنة: محضن الطائر
– الشّونة: مخزن الغلّة – الوَعْل: الملجأ
– الثعلب: مخرج الماء – العَقْل: الملجأ
– الوعن: الملجأ

2. أسماء أماكن تبدأ بميم لكنها غير قياسية: وثمّة أسماء عديدة تبدأ بميم بعضها ميم زائدة، وبعضها من أصل الكلمة، لكنّها لم تكن قياسية، علماً بأنّ ما يجب أن يكون قياسياً هو ما كانت فيه الميم زائدة، لأنّ ميم مفعَل ومفعِل وما فوق الثلاثي زائدة. فممّا كانت فيه الميم أصلية:

– المائدة: الدائرة من الأرض – المكا: حُجر الثعلب أو الأرنب
– الماخور: بيت الريبة – المك: حُجر الثعلب أو الضب
– المأل: الملجأ – المَهْد: الأرض
– المُرْت: المفازة بلا نبات – المَوْر: الطريق الموطوء المستوي
– المَسْل: مسيل الماء

ولو أعدنا قراءة الألفاظ السابقة لوجدنا أنّ معظمها على وزن فَعْل، وهذه يشجعنا أن نثبتها على وزن واحد فنكون خففنا من غير القياسي، ونقيم قاعدة جديدة: يرد اسم المكان من الثلاثي على وزن فَعْل، ثم أليس هذا يشبه المصدر السماعي من الثلاثي؟

أمّا ما ورد وميمه زائدة فهذه أشهر الأسماء على وزن مِفعال:

– المِجداح: ساحل البحر – المِحراب: له معان كثيرة

– المِدراس: الموضع الذي يدرس فيه كتاب الله – المِرْباع: المكان ينبت فيه أول الربيع
– المِرحاض: المغتسل – المرداء: الرملة المتسطحة لا تُنبت
– المِرصاد: المكان الذي يُرصد فيه العدو – المرقاة: اسم مكان من رقا إذا صعد
– المِشحاذ: الأرض المستوية = الأكمة الورقاء – المصراد: الأرض لا شجر فيها
– المِضمار: الموضع تضمّر فيه الإبل – المِلْطاط: طريق على ساحل البحر

والسؤال هو: ألا تكفي هذه الألفاظ لنزيد وزناً آخر على أوزان اسم المكان؟

وهناك أسماء أخرى الميم فيها زائدة على وزن مِفعل: وهذا أشهرها:

– المِذنب: يسيل ما بين كل تلعتين = الجدول – المِرأب: المِشعب
– المِربد: كل شيء حبست فيه الإبل والغنم – المِصْطح: الصحراء الواسعة ليس بها رعي
– المِطلى: مسيل ضيّق بين الأرض – المِفْتح: قناة الري
– المِقْوس: المكان الذي تجري فيه الخيل للسبق – المِيْثَب: ما ارتفع من الأرض
– الميضأة: الموضع الذي يتوضأ فيه = المطهرة – المِيْطأ: ما انخفض من الأرض
– المِيْقعة: الموضع الذي يألفه البازي

والملاحظة الجديرة بالانتباه أنّ ما ورد في النوعين الأخيرين على وزن مِفعال ومِفعل يشترك مع اسم الآلة في الوزن، وهذا ما يشبه أيضاً الوزن الذي يشترك فيه اسم المكان ممّا فوق الثلاثي مع اسم المفعول، ووزن فعيل بين مبالغة اسم الفاعل والصفة المشبهة.

يضاف إلى ما سبق بعض الألفاظ بدأت بميم زائدة مثل:

– المَجْلوة: البيت الذي لا باب فيه ولا ستر – المَراغِم: الحصن
– المرمريس: الأرض لا تنبت شيئاً – مِشكدانة: موضع السمك
– المشيوحاء: منبت الشيح – المُعلندد: البلد لا ماء بها ولا مرعى

هذه أهم العناوين في اسم المكان التي وردت في مصادر الأقدمين مع أمثلة تحت كل عنوان، إذ لا نستطيع إثبات كل الألفاظ التي وجدناها عندهم ولا سيما في المعجم، وتعدّ المادة

الأساسية في هذا البحث، ولكن هل كانت كافية، وهل استوفت كل ما تريد؟ قلنا ليس بالضرورة أن يثبت المعجم كلّ ما يمكن اشتقاقه على اسم المكان، فليس هذا من مهام المعجم ولا يجوز أن نعد هذا الأمر تقصيراً من العلماء أو المعجميين، يكفي أنهم أعطوا القاعدة، وإن شابها بعض ما يحتاج إلى تفسير، فنحن لا نقدّس كلّ ما جاء به الأقدمون ولا نجعله في مكانة لا يأتيها النقد من قريب أو بعيد، بل وجدنا أنّ هناك أشياء كثيرة يمكن الوقوف عليها ومناقشتها... وسنتابع هذا عند المحدثين الذين وقفوا عند اسم المكان، وقبل الدخول في الشرح والتفصيل نعترف أنّنا لا نجد تلك الكتب ذات الأهمية الكبرى التي يمكن اعتبارها مراجع نطمئن إليها وربما لهذا أسباب كثيرة ليس هنا محلُّها؛ فما أُلِّف حديثاً كان تعليمياً مدرسياً لم يلتفت إلى ما يجب الالتفات إليه بل ربّما خشي الكثيرون أن يتناولوا ما جاء به الأقدمون فأثبتوا أهم القواعد الخاصة باسم المكان، وهذا ينسحب على معظم أبواب النحو وإذا بقينا على هذه الحال فإنّنا لن نقدم جديداً، ولن نزيد على ما جاء به القدامى حرفاً وإن كنا نستطيع أن نقدم أشياء كثيرة جداً. هذا إذا رَصَدنا وحلَّلنا وناقشنا، وهذا ما حاولت أن أقدمه هنا.

أقول قد يكون كتاب "النحو الوافي" لعباس حسن هو الأشمل بين المراجع النحوية في العصر الحديث وكثيرون يستشهدون بما يقدّمه ربّما لأنّه الوحيد في هذا الجانب من حيث المضمون والشمول، وفي هذا كلام آخر ليس هنا محلّه، لكنّ ما سيساعدنا في الكشف عن أسماء الأماكن ورصدها هو المعاجم المعاصرة، وهي كثيرة بخلاف المصادر النحوية لذلك سنعمد إلى الاستشهاد بما ورد فيها ولاسيما المعجم الوسيط الذي يعدّه كثيرون الأفضل بين المعاجم المعاصرة، لكن هذا ليس بدقيق، لأنّ ما سنفعله ليس تقويماً لتلك المعاجم بل عملية رصد وإحصاء لما ورد من أسماء أماكن وملاحظة هل اعتمد أصحاب هذه المعاجم القياسي في إثبات ما أثبتوه. والسؤال الذي يُطرح هل استطاعت هذه المعاجم رصد كل الأسماء والجواب لا؛ ربما – أيضاً – لأنّ هذا ليس من مهامّها، وإلا صار عندنا معجم أسماء الأماكن وهذا ما فعلته وحاولت أن أشتق كل أسماء الأماكن الممكنة من الأفعال التي يُشتق منها اسم المكان، واستشهدت على كثير منها في تضاعيف هذا البحث، لكنني أثبتها كلّها في معجم أسماء الأماكن.

اسم المكان في مراجع المحدثين:

قلت قبل قليل إنّ "النّحو الوافي" لعباس حسن هو الأشمل من حيث المضمون ولكن المنطق العلمي يقتضي ألا يُعتمد على كتاب واحد للحكم على قاعدة ما فلربّما جاء أحدهم بعبارة يمكن أن تقدم جديداً، أو تضيف شيئاً آخر لم ينتبه إليه غيره، من هنا حاولت رصد بعض الكتب المعاصرة، منها التعليمي الجامعي، أو لمؤلفين لهم مؤلفاتهم واشتهروا أكثر من غيرهم، وحاولوا أن يقدموا جديداً.

أمّا عباس حسن فقد أشار بداية إلى أن ابن مالك لم يعرض لهما (الزمان والمكان)[1] لكن عباس حسن لم يأتِ بجديد علماً بأنّه ممّن يتوسعون كثيراً في المادة، لكنّه استشهد بكثير من الألفاظ فكأنّي به أخذ القياس وأورد ألفاظاً على هذه الأوزان،[2] وهذا ما قلناه من قبل أنّ كثيرين لم يضيفوا شيئاً جديداً؛ لأنّ ما أورده القدماء كان كافياً، لكنّه وقف عند اختلاف القدماء في الرأي بين القياس والسماع ولاسيما فيما انتهى بالتاء وأنّ ألفاظه قليلة فلا تكفي للقياس[3] لكنّ هذا الرأي غير دقيق ما دمنا لم نحصِ كل الألفاظ وقد نقضناه عندما رصدنا عدداً كبيراً من الألفاظ واستطعنا الوصول إلى أوزان يمكن اعتمادها، وإلاّ كان كثير من القواعد النحوية غير قياسي إذ لم يثبت لها إلا عددٌ قليل من الشواهد!!

وممّن وقف عند اسم المكان محاولاً الإتيان بجديد الدكتور فخر الدين قباوة في كتابه "تصريف الأفعال والأسماء" فهو عرف اسم المكان[4] ثم استشهد بعدد آخر من أسماء المكان وأضاف ما هو حديث مثل المطبعة والمدرسة[5] معتمداً القاعدة القياسية وأثبت في إحدى

---

[1] النحو الوافي 3 / 318

[2] النحو الوافي 3 / 318 ــ 322

[3] النحو الوافي 3/ 325

[4] تصريف الأفعال والأسماء 170

[5] تصريف الأفعال والأسماء 172

الحواشي عبارة" وشذ مئذنة ومضمار ومشوار، وكنا قد وقفنا على هذا الوزن وقلنا لو جَرَدْنا أو أحصينا كل ما ورد على هذا الوزن لما كان الوزن شاذاً بل لكنا أضفناه إلى الأوزان القياسية.

وقلّ مثل هذا في معظم الكتب المعاصرة، وكنت أتوقع أن أقرأ بعضاً مما يمكن إضافته إلى القاعدة أو الأوزان لكنّني لم أجد شيئاً ما خلا الألفاظ والأسماء التي أضافها البعض وهذا لا يكفي.

نماذج من أسماء المكان عند المعاصرين:

لم أعتمد فيما سأورده هنا على ما ورد في كتب النحو فهو قليل جداً، لأنّ القصد هناك هو الاستشهاد بألفاظ على تلك الأوزان لكنّني سأثبت عدداً لا بأس به من الألفاظ ورد في المعاجم المعاصرة وهي كثيرة، وأقول بداية كما قلت في المعجم القديم ليس من واجب المعجم أن يثبت كل أسماء المكان، بل من أراد أن يصنع معجماً لأسماء المكان.

1. على وزن مفعِل ومفعَل:

سأثبت هنا ما هو معروف وليس بحاجة إلى شرح كيلا تكثر الصفحات مع ملاحظة أنني أثبتّ عدداً كبيراً ممّا لم أقرأه في أحد المعاجم فاجتهدت كغيري وصغت عدداً من أسماء المكان على القاعدة القياسية، ورمزت له بنجمة كي يُميّز عن غيره لا لسبب إلا لأنني أريد أعطي إضافة جديدة على التطور اللغوي أو التطور التاريخي، فما أثبت عند القدماء ذكرناه ثم جاءت بعض المعاجم بعدد من الألفاظ ثم أتيت أنا بعدد آخر، ولاشك أنه سيأتي أحد من بعدي ليثبت عدداً آخر، وهذا كلّه دليل التطور التاريخي في المعجم العربي.

*المأخذ، المأزِق، المأزِم، *المبنى، *المبيت، المأمَن، *المَتْجر، *المتحف، المباءة، المبعث، المبغى، المبكى، المَجْثم، المَجْزر، المجلى، *المحبس، *المحرس، *المحطة، *المحكمة، *المخبأ، *المخبر، *المخبز، المخزن، * المَخْرج، *المخفر، *المدجنة، المَدْخل،

المَدْرج، *المُدرَّج، *المرسم، المرآب، *المرعى، *المزرعة، *المسبح، المَسْكَن، المَسْلخ، *المَسْرب، المسلك، *المَشْتى، *المشتل، *المشحم، المَشْرب، *المشفى، *المَشْغل، *المصبّ، *المصحّ، *المصدر، *المَصْرع، *المصرف، *المصنع، *المَضْجع، *المَطْرح، *المطعم، *المطلع، المطهر، *المعقل، *المعلف، *المعمل، *المعهد، *المقام، المقذر، *المقرَّ، *المقسم، *المقصد، * المقلع، *المقهى، * المكتب، * المكمن، * الملجأ، *الملهى، *المنفذ، *المنفى، *المهبط، *المهجر، *المَهْجع، *المهوى، *الموقع، * المولد، *الميتم.

وقد يطول التعداد أكثر، لكن أثبت هذا العدد لنثبت أننا إن أردنا نَصِلْ إلى مئات الألفاظ نصوغها أسماء مكان.

2. ما آخره تاء مربوطة:

مأرضة، المباءة، المثلجة، المجرّة، المحششة، المحطة، المحكمة، المحمصة، المدجنة، المدخنة، المدرسة، المزرعة، المسافة، المطبعة، المطحنة، المعركة، المعصرة، المغسلة، المقبرة، المقرأة، المكتبة، الملحمة، المنشرة، المهكلة، الموقدة، الميسرة، الميمنة.

3. ما كان على وزن اسم المفعول: (مما فوق الثلاثي)

المُنتزه، المتوضأ، المجتمع، المجتنى، المُختبر، المُدرَّج، المرتفع، المُرتقى، المرتكز، المُرتمى، المستعمر، المستشفى، المستقر، المستنقع، المستودع، المستوصف، المستوطنة، المصطاف، المُصلّى، المُعْتقل، المعسكر، الملتقى، المُنتدى، المُنتزح، المنتزه، المنتصف، المنحدر.

اسم المكان غير القياسي عند المعاصرين:

1. ما ورد ومعناه على وزن قياسي:

– الجامع: المسجد

– القناة: الممرّ المائي

– الدهليز: الممرّ
– الكراج: المرآب
– الدير: المزار
– الكشك: المحل

2. اسم مكان يبدأ بميم لكنه غير قياسي:

– المحافظة: منطقة كبيرة من البلد
– المقصورة: غرفة في البيت قديماً
– المديرية: مقر أو دائرة رسمية
– الميدان: مكان المعركة أو للسباق
– المرج: مكان فيه عشب

3. ألفاظ معاصرة:

هذا عدد من ألفاظ أسماء الأماكن على غير القياس هي من المعروف عند العامة من الناس، يمكن اعتبارها المرحلة الثالثة من مراحل التطور نثبتها مع تعريف وجدناه مناسباً مع ملاحظة أنّ عدداً منها ألفاظ أجنبية يجب أن نقبل بها؛ إذ لا مرادفَ لها في العربية، ولا يمكننا أن نستغني عنها بل إنّ معجمنا تزيد ألفاظه، وتكثر، ولا يقلل هذا من شأن اللغة شأنها شأن أي لغة تقبل من الغير، وتعطي الغير. المعروف حتى الآن:

1. الأبرشية: موضع
2. الاستديو = يطلق على مكان التصوير أو الحجرة أو الغرفة في الإذاعة
3. الأكمة: التل من القَفّ من حجارة واحدة
4. الإيوان: الصُّفة العظيمة
5. الباحة: الساحة
6. البادية: الأرض التي لا حَضَر فيها
7. البحرة: مستنقع الماء
8. البَرْزخ: الحاجز بين شيئين، ما بين كل شيئين
9. البركة: الحوض
10. البرية: الصحراء

11. البستان: الحديقة
12. البقعة: القطعة من الأرض على غير هيئة القطعة التي إلى جنبها
13. البنك: المصرف
14. البَوْر: الأرض قبل أن تصلح
15. البَهْو: البيت المقدّم أمام البيوت
16. البيت: معروف
17. البيدر: الموضع الذي يُداس فيه الطعام
18. الترعة: فوّهة الجدول
19. التِّلعة: ما ارتفع من الأرض
20. الثَّغر: مكان فاصل بين جيشين
21. الثّكنة: مكان تجمع الجنود وآلياتهم
22. الجادة: معظم الطريق
23. الجبل: كل وتد في الأرض عظم وطال
24. الجَدَث: القبر
25. الجَدَف: القبر
26. الجزيرة: القطعة من الأرض
27. الحبنية: الحديقة أو البستان
28. الحارة: كل محلّة دنت منازلها
29. الحُجرة: حظيرة الإبل
30. الحظيرة: المحيط بالشيء
31. الحقل: الحديقة أو البستان
32. الحلبة: مكان السباق
33. الحمام: معروف

34. الحوض: مجتمع الماء
35. الخان: الحانوت
36. الحِدر: أجمة الأسد
37. الخَرِبة: موضع الخراب
38. الخُمّ: قفص الدجاج
39. الخميلة: الموضع الكثير الشجر
40. الخندق: حفير حول أسوار المدن
41. الخليج: مصب الماء في البحر
42. الخيمة: كل بيت مستدير
43. الدار: العَرَصة = المحل يجمع البناء = البلد
44. الدَّرب: الدرب النافذ = الموضع
45. الدسكرة: القرية = الصومعة = الأرض المستوية = بيوت الأعاجم
46. الدكان: الحانوت
47. الرَّبْع: الدار بعينها = المحلة =المنزل = الوطن يرتبعون فيه
48. الرحبة: الأرض الواسعة المِحلال
49. الردهة: البيت الذي لا أعظم منه
50. الرُّكن: جانب من المكان في المطعم أو المنزل أو غيرهما
51. الرِّواق: بيت كالفسطاط = سقف في مقدم البيت
52. الروض: البستان = أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة
53. الرِّيف: أرض فيها زرع وهضب
54. الزابوقة من البيت: زاويته أو هو شبه دغل في البيت
55. الزَّريبة: حظيرة الغنم = مكمن السبع
56. الساحة: الناحية = الفضاء بين دور الحي

57. السُّرداق: الذي يُمدّ فوق صحن البيت من الكرسف
58. السِّفارة: بناء رسمي يسكن فيه سفير دولة
59. السوبر ماركت: لفظ أجنبي يقابل الدكان أو المحل
60. السوق: مكان فيه محال كثيرة
61. السينما: مكان عرض الأفلام
62. الشِّعْب: طريق في الجبل
63. الشُّعبة: المسيل في الرمل
64. الصالة = الصالون: القاعة أو المحل خاصاً بالحلاقة ثم صار يطلق على ملعب رياضي مغلق
65. الصَّحن: ساحة الدار
66. الصَّرح: بيت عال = القصر = كل بناء عال مرتفع
67. الصُّقع: الناحية
68. الصومعة: مكان يطلق غالباً على مكان الزهد والتعبد
69. الصيدلية: دكان الصيدلي
70. الصِّيرة: حظيرة للغنم والبقر
71. الضيعة: العقار = الأرض المُضلِّة
72. العتبة: أسكفة الباب التي توطأ
73. العِرزال: مأوى الأسد = موضع يتخذه الناطور = جحر الحية = الحانوت
74. العَرَصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء
75. العش: موضع الطائر
76. العقبة: مرقى صعب من الجبال
77. العلية: الغرفة التي تكون في الطابق العلوي من البيت
78. الغابة: الأجمة = الوطأة من الأرض
79. الغرفة: العلّيّة

80. الغيضة: المكان فيه شجر وماء
81. الفجّ: الطريق الواسع بين جبلين
82. الفندق: المكان الذي ينزل فيه المسافرون ويسمّى قديماً الخان
83. الفيلا: لفظ أجنبي للبيت الكبير الحجم يحيط به بستان
84. قاعة الدار: ساحتها
85. القبو: البيت الذي في أسفل البناء
86. القرية: مدينة صغيرة في الريف
87. القصبة: المدينة = القرية
88. القصر: بناء كبير فيه عدد من الغرف دليل غنى
89. القلعة: الحصن الممتنع على الجبل
90. القُنّ: موضع يسكن فيه الدجاج
91. الكاتدرائية: دير كبير يكون مركز الدين المسيحي واللفظ أجنبي
92. الكازينو: الملهى والكلمة أجنبية
93. الكفر: القبر = القرية البعيدة
94. الكلأء: مرفأ السفن
95. الكلية: جزء من الجامعة
96. الكمين: موضع يكون فيه ثغرات يكمن فيه النور
97. الكنيس: معبد اليهود
98. الكهف: كالبيت المنقور في الجبل
99. الكوخ: بيت له سنام من نصب بلا كوة
100. الكورة: المدينة والصقع
101. اللحد: القبر
102. النادي: مكان يجتمع فيه الناس أو الرياضيون أو المثقفون

103. الناووس: مقابر النصارى
104. مَنْبَع: مكان خروج المياه من الأرض
105. النفق: مكان في الصخر أو الأرض يصبح ممراً للناس
106. النقرة: الوهدة المستديرة في الأرض
107. الوادي: كل منفرج ما بين جبال أو تلال أو أكام
108. الوكر: بيت الحيوانات
109. الينبوع: العين = الجدول الكثير الماء

الخاتمة:

إنّ ما قدمناه في هذا البحث يعد خطوة خجولة من خطوات كثيرة يمكن السير فيها للوصول إلى هدف لمّا نزل منذ سنوات بعيدة نبحث عنه، أو نحاول الوصول إليه، نناشد وننشد، لكن من دون أن نقدم شيئاً قبل أن نعلن فشلنا، أو لنقل نعلن أنَّ ثمّة صعوبات تعترض من يعمل في سبيل صناعة المعجم التاريخي، وقد وجدنا أنّ الأمر ليس بهذا العمل المستحيل بل يحتاج منّا متابعة متسلسلة كمن يخطو صحيحاً في أماكن يوصل بعضها إلى بعض ليصل الإنسان إلى المحطة سليماً معافى كمن يصل في نتائج أي عمل يقوم على الإحصاء، ثم الرصد ثم التسلسل، ثم السير بِخُطاً سديدة. إنّ اسم المكان هو نموذج من نماذج يمكن اعتماده، ويمكن الاطمئنان إليه، ولاسيما في وقت تطوّر فيه البحث العلمي ولم يعد يعتمد الظنّ والتخمين وما قدمته أظنه خطوة صحيحة وإن كانت خجولة، وثابتة في الأرض، ولكنني لا أدّعي أنها كاملة أضعها بين أيدي المختصين للحكم عليها.

المصادر والمراجع:

إنّ هذا البحث وأمثاله لا تقتضي أن يعود الباحث إلى كثير من المصادر والمراجع الحديثة بل إلى نماذج محددة تكفي لتقديم ما يجب تقديمه وقد أشرنا في المقدمة إلى أن ّكتب النحو لم تلتفت إليه، وأنّ كتب الصّرف قليلة، فاقتصر البحث على عدد من المصادر والمراجع الحديثة مقابل العودة إلى المعاجم لأنها المصادر التي تذكر فيه الألفاظ المطلوب دراستها، ومع هذا لم نجد كلّ ما نريد، وكل هذا يعود إلى طبيعة البحث، من هنا اقتصرت على ذكر ما أفدت منه من مصادر ومراجع مع الإشارة إلى أنني جردت معظم المصادر النحوية ومعظم المعاجم الحديثة.

– تاج العروس للزبيدي طبعة الكويت
– تصريف الأسماء والأفعال د. فخر الدين قباوة مكتبة المعارف بيروت 1988
– خزانة الأدب للبغدادي تحقيق عبد السلام هارون ــ الهيئة المصرية
– دائرة المعارف اللغوية د. شوقي المعريّ دار الحارث دمشق 2004
– شرح الشافية للرضي الأستراباذي ــ تحقيق محمد نور الحسن ورفاقه ــ دار الكتب العلمية ببيروت ــ لبنان 1982
– شرح المفصل لابن يعيش ــ الطبعة المنيرية
– الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عطار ــ دار العلم للملايين بيروت 1990 ط 4
– كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون ط 5
– لسان العرب لابن منظور طبعة دار المعارف
– معجم العربية الكلاسيكة والمعاصرة يوسف رضا مكتبة لبنان ــ ناشرون ط / 2006
– المعجم الوسيط إبراهيم أنيس ورفاقه دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ط2
– المقتضب للمبرد تحقيق عبد الخالق عضيمة
– الممتع في التصريف لابن عصفور دار الآفاق ببيروت 1979
– المنجد
– النحو الوافي لعباس حسن دار المعارف بمصر